

عراوي: التوفيق بين المفاهيم الطبية البحثية وتقاليد مجتمعاتنا
العربية الأولى في «الجمعية العالمية للأخلاقيات الأحيائية»

نشر هذا المقال في جريدة السفير بتاريخ 27-02-2016

ملك مكي



تمّ انتخاب المديرية المؤسسة لـ «برنامج سليم الحص للأخلاقيات الأحيائية والاحتراف» في المركز الطبي في الجامعة الأميركية في بيروت الدكتورة تاليا عراوي عضواً في «الجمعية العالمية للأخلاقيات الأحيائية» International Association of Bioethics»، وهي المرة الأولى التي يتم فيها انتخاب باحث أو باحثة من البلدان العربية في هذه الجمعية العالمية. وتعدّ تلك الجمعية مرجعاً عالمياً في شأن البحوث والتعليم والسياسات ورفع الوعي حول الأخلاقيات الإحيائية «bioethics» وتضمّ أبرز المفكرين العالميين في شؤون الأخلاقيات الأحيائية.

في أوائل السبعينيات، تم استخدام مصطلح الأخلاقيات الإحيائية، لوصف وتحليل ودراسة سبل اتخاذ القرارات في الطب والعلوم وأثرها على الصحة والمجتمع والبيئة والحياة. وترتبط الأخلاقيات الأحيائية بالقيم الإنسانية الأساسية مثل الحق في الحياة والصحة، وبصوابية بعض التطورات في مؤسسات الرعاية الصحية، وبالمسؤولية الاجتماعية تجاه حياة الأفراد وصحتهم. وتعالج الأخلاقيات الإحيائية قضايا تتعلق ببداية الحياة ونهايتها، الإجهاض، الموت الرحيم، العناية التلطيفية، كرامة الأشخاص الضعفاء والكبار في العمر. وتطرح الأخلاقيات الأحيائية التساؤلات الأخلاقية الصعبة للمرضى، ولمقدمي الرعاية الصحية، وللمستشفيات، وللحكومات والحضارات.

تقول عراوي إن مجلس الجمعية رشحها لتكون عضواً في المجلس. بعد ذلك انتخبت ويشكل هذا الانتخاب اعترافاً ببرنامج «سليم الحص للأخلاقيات الإحيائية والاحتراف»، وبالجامعة الأميركية في بيروت، وبالباحثين العرب، مشيرة إلى وجود باحثين عرب آخرين كفئتين في الأخلاقيات الأحيائية لا يتم، في بعض الأحيان، تسليط الضوء على أعمالهم وقدراتهم. تنوي عراوي، من خلال توليها هذا المنصب، العمل على التطوير الذاتي والمجتمعي، والتعلّم من خبرات الآخرين والاستفادة منهم، وإحداث فرق، ونقل وجهات نظر ورؤية المجتمعات العربية (لم يكن في السابق وجود لباحث عربي في الجمعية العالمية، فجميع الأعضاء كانوا من الولايات المتحدة الأميركية والدول الأوروبية والصين وغيرها) لبعض الشؤون الأخلاقية في مجال

الطب والعلوم، إذ ترتبط الأخلاقيات الأحيائية بثقافة المجتمعات ومشاكلها، وقيمتها، ومعتقداتها، ومعاييرها. وعلى الرغم من التطور في مفهوم الأخلاقيات الأحيائية في لبنان، ما زال هناك نقصٌ في التعليم، وفي التقيد بالقوانين والأسس الأخلاقية في مسائل عدة كالبحوث السريرية، والموافقة المستنيرة للمريض، ومشاركة المتخصص بالأخلاقيات الأحيائية في الفريق الطبي المتخصص لأخذ القرار في شؤون دقيقة وحساسة. تُلقت عراوي إلى نجاح برنامج الاخلاقيات الإكلينيكية في المركز الطبي في الجامعة الأميركية، إذ أصبح المتخصص في مجال الأخلاقيات الإكلينيكية جزءاً من الفريق الطبي الذي يسعى إلى تقديم رعاية أفضل للمريض. في المقابل، تشير عراوي إلى عدم وجود معطيات وافية عن مدى التقيد بالقوانين والتشريعات الأخلاقية في التطبيق في المجالات الطبية، وإلى وجود نقص في المحاسبة والمساءلة في لبنان.

تقترح عراوي آليات عدة لتعزيز مفاهيم الأخلاقيات الأحيائية في لبنان، ومنها: فهم الأخلاقيات الأحيائية وتعزيز دورها وأهميتها في المجال الطبي من دون اعتبارها دخيلاً على الطب، بل هي جزء لا يتجزأ من العمل الطبي. يأخذ المتخصص بالأخلاقيات الطبية بعين الاعتبار حالة المريض كفرد وإنسان له تجربته وماضيه، وجوانبه النفسية والاقتصادية والمعيشية والروحية والاجتماعية، وهو ليس مريضاً بل إنسان يعاني من مرض. ويحاول الاختصاصي في الأخلاقيات الأحيائية أن يقرّب وجهات النظر بين الطبيب والأفراء، ويعمل على تحديد العضلات الأخلاقية الطبية وتقديم الاقتراحات لحلها، والتعاطف مع المريض وفهمه والتحدث معه بطريقة إنسانية.

تشدد عراوي على أهمية العمل الجماعي والتنسيق بين مختلف المعنيين بوضع المريض من أطباء وممرضين وأطباء متمرنين ومتخصصين في الأخلاقيات الأحيائية، مع الإشارة إلى أن أكبر المشاكل التي يواجهها الحقل الطبي في لبنان هي الرعاية المجزأة أي نقص التواصل بين أطباء عديدين من اختصاصات مختلفة يعاينون المريض عينه.

من جهة أخرى، تلاحظ عراوي أن الدول العربية تعتمد دائماً المفاهيم والدراسات الغربية في شأن الأخلاقيات الأحيائية من دون أن تراعي خصوصيات المجتمعات العربية التي تسودها ثقافات وتقاليد معينة، فليس كل ما ينطبق في الدول الغربية ينطبق في الدول العربية التي عليها أن تنتج مفاهيمها وقواعدها الخاصة.

تُلقت عراوي إلى وجود اختلاف في مفهوم الأخلاقيات الأحيائية بين الدول النامية والدول المتقدمة. إذ تنحصر معايير وأسس الأخلاقيات في الدول النامية بالدين وبمعايير البحوث العلمية. بينما ترتبط الأخلاقيات الأحيائية بشؤون عدة: علمية، قانونية، واقتصادية، وتقاليد وأعراف اجتماعية ولا تنحصر بالبحوث العلمية بل ترتبط بمجالات كثيرة.

يطرح العالم، اليوم، تساؤلات طبية أخلاقية لدراسة قضايا مهمة وأبرزها: الخلايا الجذعية (تعتبر الخلايا الجذعية خلايا بدائية، غير مبرمجة وغير متخصصة. توجد الخلايا الجذعية في الأجنة، في الحبل السري، في نخاع العظمي، وفي الأنسجة وتثير مسألة تخزين الخلايا الجذعية بغية الاستفادة منها في المستقبل الكثير من الشكوك حول مدى صحة هذا الطرح وجدواه العلمية)، التحرير الجيني (gene editing) أو التعديل الجيني للأجنة، معرفة تسلسل الجينوم البشري، تنقيب الأطباء، مشاركة المرضى الذين لا أمل لديهم في العلاج ببحوث تجريبية وغيرها. وتثير تلك المواضيع تساؤلات أخلاقية: مَنْ يقرّر، مَنْ يريد أن يعرف، هل يحق لنا التعديل بالجينات، هل يرغب الفرد في معرفة ما يكشفه التسلسل الجيني من أمراض وغيرها، هل يجب علينا تطبيق وممارسة جميع الأمور والتقنيات التي يمكن لنا فعلها؟

أما في لبنان، فتنشغل الأوساط العلمية، اليوم، بشؤون طبية دقيقة، ومنها: المشاكل التي يواجهها المرضى الذين لا علاج لهم ويعيشون أيامهم الأخيرة، العلاج التلطيفي، تخزين الخلايا الجذعية التي تقوم بها بعض المختبرات، وعمليات أطفال الأنابيب.